ماذا لو لم تكن قيامة ؟!

أهنئكم يا إخوتي وأحبائي بعيد القيامة المجيد راجياً لكم فيه كل خير. ومصلياً من أجل بلادنا العزيزة. ومن أجل الرئيس المحبوب محمد حسني مبارك أن يجعل الله رحلته إلي أمريكا موفقة وناجحة من أجل قضية السلام التي يتبناها ويدافع عنها بكل أمانة وصدق وبكل حكمة وشجاعة. وليعد إلينا سعيداً بكل ما يتمكن من إنجازه.. وأرجو لكم جميعاً بركة في مناسبة عيد القيامة التي ستكون اليوم موضع تأملاتنا بما توحيه من أفكار.

***

لكي ندرك أهمية القيامة ولزومها. علينا ان نتخيل هذا السؤال ماذا كان سيحدث لو لم تكن هناك قيامة؟ ونري نتائجه الخطيرة...!

١- لو لم تكن قيامة. لكان مصير الانسان إلي الفناء

ولأصبح الانسان كالحيوان الذي يموت وينتهي تماماً ولا يعود إلي الوجود. وحينئذ نسأل: ما هي إذن الميزة التي يتميز بها هذا الكائن البشري العاقل الناطق. الذي وهبه الله العلم وموهبة التفكير والاختراع. والقدرة علي صنع مركبات الفضاء التي توصله إلي القمر وإلي المريخ. وتدور به حول الأرض. وترجعه اليها سالماً. وحاصلاً علي صور ومعلومات.. هذا الانسان الذي قام بمخترعات أخري مذهلة كالكمبيوتر والفاكس وال Mobile Phone وغيرها.

هل يعقل ان هذا الانسان العجيب الذي سلّطه الله علي نواحي عديدة من الطبيعة. يؤول جسده إلي مصير كمصير بهيمة أو حشرة أو بعض الهوام؟! ان العقل لا يصدق هذا..!

وإلا لماذا خلقه الله بهذا الوعي. ومنحه كل هذه المواهب؟! وهو الوحيد الذي ائتمنه الله علي الوحي. وأرسل له الأنبياء. وصنع معه المعجزات.. ان كان مصيره ينتهي إلي الفناء. وحفنة من تراب!! وهذا لا يتفق أيضاً مع وعود الله له بالحياة الأبدية. وبالسماء..!

***

ولو لم تكن قيامة. لكان جسد الانسان لا يتميز عن جميع المخلوقات الأخري ذوات الأجساد بينما هو يستطيع بما وهبه الله أن يسيطر عليها جميعاً. وان يقوم لبعضها بواجب الرعاية والاهتمام ان أراد. وان يقوم علي البعض الآخر بحق السيطرة والاستخدام.

فإن لم تكن هناك قيامة. وأصبح مصير جسده كمصير باقي تلك الكائنات غير العاقلة. إذن لزالت كرامة هذا البشري السيد الذي سلطه الله علي غيره من الكائنات الجسدية..!

***

لو لم تكن قيامة. لضاعت المسئولية الضميرية وخشية الحساب الأخير.

فمن المعروف ان الانسان حينما يقوم من الموت. يقف أمام منبر الله العادل ليعطي حساباً عن كل ما فعله بالجسد خيراً كان أم شراً. يعطي حساباً ليس فقط عن أعماله. انما أيضاً عن نياته وأفكاره ومشاعره الداخلية.

ومادام سيقوم. فإنه لذلك يحيا حياة التدقيق والحرص. حياة البر والفضيلة التي يقف بها أمام الله في يوم الدين بلا خوف. وأمام الناس بلا خجل. فإن لم تكن قيامة. ولم يكن حساب. ولا خوف ولا خجل.. اذن علي رأي المثل "من لا يستحي. فليفعل ما يشاء"!!

اذن لو لم تكن قيامة. لانتشر الفساد. وانتشرت الابيقورية التي تقول "لنأكل ونشرب. فإننا غداً نموت"! اذن لتهالك الناس علي ملاذ الناس وعلي شهواتها. مع السعي إلي المادة بكل قوة ولهفة..!

ولو لم تكن قيامة. لسادت في العالم شريعة الغاب. وأكل الناس بعضهم بعضاً. واستبد القوي بالضعيف. وساد الظلم والقسوة..! بل لانعدمت المباديء والقيم أو قَّل شأنها وتأثيرها إلي حد بعيد..!

***

لو لم تكن قيامة. لأصبح الموت رعباً. وزالت الشجاعة والتضحية!!

حالياً. لا يخاف الشجعان الموت علي رجاء القيامة. ويتقدم الشهداء إلي الموت غير هيابين. لأنهم يعرفون ان الموت ليس هو نهاية حياتهم. بل يرونه باباً مفتوحاً لحياة في الأبدية لا تنتهي. كذلك أي انسان يموت يكون له عزاء في الحياة الأخري. وبهذا يمكن ان يتقبل الموت بغير جزع. أما ان لم تكن هناك قيامة وحياة بعد الموت. فان الموت يكون مخيفا اذ يمثل نهاية ومأساة. وهذا ما كان يحدث للملحدين. وللطوائف التي تنكر القيامة والروح كالصدوقيين مثلاً.

***

أن لم تكن هناك قيامة. فان موت أحبائنا وأصدقائنا وأقاربنا يكون سبب حزن شديد جداً لنا لا عزاء فيه

ان عزاءنا في موت أحبائنا هو اننا سنراهم في العالم الآخر. ونقول للرب في صلواتنا "انه ليس موتاً لعبيدك. بل هو انتقال". لذلك نقيم لهؤلاء الراحلين عنا تذكارات في مناسبات عديدة. ونثق انهم سيقومون في اليوم الأخير وسنراهم وتستمر علاقتنا بهم.
نفس الكلام نقوله عمن نعجب بهم من أصحاب المواهب ومن مشاهير الناس الذين عاشرناهم. ولهم في قلوبنا صلة تقدير.. فان لم تكن قيامة. سنحزن جداً إذ تنقطع صلتنا بكل التاريخ الذي عاصرناه والذي سمعنا عنه. وأيضاً تنقطع صلة هذا التاريخ بنا..!
أما الايمان بالقيامة فقدم للبشرية رجاء أوسع من هذا: ليس فقط في تلاقي الأحباء والأصدقاء. وانما أيضاً في تلاقي الأجيال كلها.
حيث يلتقي الناس هناك في السماء مع أبينا آدم وأبينا نوح وأبينا إبراهيم وسائر الأنبياء. ومع جميع الأبرار في جميع العصور.. ستلتقي الأجيال كلها هناك في القيامة. وان لم تكن قيامة. لا يكون مثل هذا اللقاء المفرح للنفوس. ولعاش الناس في جيل محدود. وفي زمن محدود لا يتعدونه.. ولانقطعت صلتنا جميعاً بالأبرار وشفاعتهم.

***

وإن لم تكن قيامة. إذن سوف لا تكون لنا صلة بالسماء وسكانها..
ولا أقصد بالسماء. هذه التي نراها بأعيننا. انما أقصد السماء التي يسكنها الملائكة والتي هي عرش الله.. هذه التي لنا أمل فيها بالقيامة والحياة الأخري. حيث نعيش في السماء بعد القيامة.
فإن لم تكن قيامة. سنحرم من السماء ومن الملائكة وكل الطغمات السمائية. ويكون حديثنا الآن عن كل هؤلاء حديثاً نظرياً. وكذلك يكون حديثنا عن النعيم الأبدي. وعما لم تره عين ولم تسمع به اذن وما لم يخطر علي قلب بشر.. أيكون هذا أيضاً كأنه أحلام أو أوهام؟!
وان لم تكن هناك قيامة ولا سماء. فما معني ان الابرار بعمل الخير يكنزون لهم كنوزاً في السماء. تُحفظ لهم حين يصلون اليها؟!

***

وأن لم تكن قيامة. فسنُحرم من الحياة المثالية التي في الأبدية
نحرُم من ذلك الجو الروحي الذي هناك: حيث لا خطيئة ولا فساد ولا مؤامرات ولا انقسامات ولا شيء من الأخطاء التي في عالمنا.. وأيضاً حيث لا تعب ولا ضيق ولا مرض ولا حزن ولا بكاء.. بل الجو الذي يسوده السلام والألفة والحب. هذا الأمر الذي نشتهيه ونترجاه. ونحلم ان نراه في العالم الآخر.. هل سنُحرم من هذا كله؟!
وهل سنحرم من الحياة المتجانسة في العالم الآخر. التي فيها البشرية كلها معاً بكل أجناسها. بلغة واحدة. يتفاهمون تلقائياً بغير حاجة إلي مترجم.. وكلهم بفهم واحد. ومفاهيم واحدة.. حيث تبطل الألسنة واللغات التي تميز مجموعة عن أخري..! هل سنحرم من هذا الجو. ان لم تكن قيامة؟!

***

لو لم تكن قيامة. لما كان هناك تعويض للذين عاشوا حياة مؤلمة أو حياة بائسة علي الأرض!
نذكر من بين هؤلاء المعوقين جسديا. كالعُرج والكسح. والصم البكم. واصحاب الامراض المستعصية التي كلها ألم. اولئك الذين كانوا يأملون في حياة بعد الموت. ينقذهم الرب فيها من عاهاتهم ومن آلامهم الجسدية والنفسية. ايفعقد هؤلاء الألم ان لم تكن هناك قيامة..!
وكذلك هل يعيش المكفوفون في عمي علي الأرض. دون اي أمل في آن يرد الله لهم البصيرة في حياة أخري. ان لم تكن هناك قيامة!
وأيضا الذين عاشوا في فقر وعوز. أو في وظائف محتقرة. أو كانوا خداما أو عبيداً لغيرهم. أو تحت معاملة قاسية ممن لهم عليهم رئاسة أو سيادة.. الذين قاسوا في حياتهم الظلم والاهانة أو التشريد والسبي وامثال هؤلاء.. هل لايأملون اطلاقا ان يرد الله اعتبارهم في العالم الآخر. إن لم تكن هناك قيامة وعالم آخر!
ان عدم وجود قيامة يوجد احباطا ويأسا عند كل تلك الامثلة من الناس. وأنه ان لم يكن هناك عدل ومساواة في هذه الحياة الارضية. فكيف لايوجد بعد الموت لون من التعويض؟!

***

وإن لم تكن هناك قيامة. إذن لاتكون هناك مكافأة للأبرار الذين جاهدوا من أجل حياة الفضيلة علي الأرض
اولئك الذين عملوا الخير في الخفاء. وحرموا أنفسهم بسبب تفانيهم في فضيلة العطاء. وجاهدوا من أجل البعد عن كل اغراء.. وواظبوا بكل حرص علي الصلاة والصوم. وبعضهم عاش في نسك وزهدوا. رافضين متع الجسد من أجل المتع التي يتمتعون بها بالروح في السماء.. وعاشوا في حياة الاحتمال والصبر. وضبط النفس. ومكافحة الشهوات.

هل كل هؤلاء لا تكون لهم مكافأة في حياة أخري. ثوابا من الله عن كل تعبهم وجهادهم الروحي علي الأرض؟! بل يتساوون مع الاشرار الذين نهبوا الارض نهبا. وتهالكوا علي الشهوات. وعاشوا بكل فساد في حياتهم الارضية. دون أية عقوبة. مادام الموت قد ساوي بين الكل. ولا قيامة!! أي عدل يكون هذا؟! وهل يقول الابرار اذن في أنفسهم: قد خدعنا الانبياء بحديثهم عن الجنة والنار. وعن الثواب والعقاب!! حاشا لله أن يكون هذا. ويتساوي البار والاثيم. ويضيع أجر من أحسن عملا..!

***

وان لم تكن قيامة. الا يكون هذا ضد الإيمان!!
وايضا ضد وعود الله! وضد الوحي الالهي! وضد الدعوة الي التضحية وبذل الذات! وضد كل ما تعلمناه عن السماء والحياة الابدية! وعن النعيم والجحيم! وضد الصلة بين سكان السماء وسكان الارض! اذن لابد ان تكون قيامة. ولابد ان يكون حسابا. وان يكون هناك ثواب وعقاب.. فالدين يقتضي هذا. وأيضا العقل والمنطق يلزمنا ان نؤمن بهذا..

***

ومادامت القيامة عقيدة وضرورة. فينبغي ان نستعد لها..
عارفين ان حياتنا الارضية - مهما طالت - لاتقاس شيئا الي جوار الحياة الابدية التي لانهاية لها والتي هي المصير الحقيقي لجميعنا.. فلنستعد للابدية بعمل الخير في كل مكان. ومع كل احد لان كل خير نعمله هنا. سنلقي جزاءه هناك في السماء اضعافا مضاعفة.. ولنبعد عن كل شر وشبه شر لان الخطيئة تبعدنا عن الله وعن ملائكته وعن السماء وكل سكانها من ارواح الابرار.. ولنفرح بأن الله قد اعد لنا حياة بعد الموت يستمر فيها وجودنا فلا يقتصر علي هذه الحياة الارضية المحدودة التي تشوبها آلام وضيقات ولنشكر الله الذي اعد لنا نعيما أبديا. أسمي من كل ما رأيناه في افراح الارض الزائلة ومتعها التافهة.

***

وبهذه المناسبة أرجو لكم جميعا كل سعادة وبركة ولنصل من أجل مصر ورخائها. ومن أجل الشرق الاوسط والسلام في كل ربوع اراضيه وبخاصة في فلسطين والعراق. وليضع الله حدا لتلك الحروب والشقاقات. ويعود الهدوء الي المنطقة..
وكل عام وأنتم جميعا بخير